سيكولوجية التفاعل الاجتماعي/ ج (1)

◄التفاعل الاجتماعي هو: العلاقة المتبادلة بين الأفراد داخل الجماعات المختلفة، وداخل المجتمع الكبير. يمرّ التفاعل الاجتماعي بمراحل تكوينية مختلفة، وللتفاعل الاجتماعي أهدافٌ فردية واجتماعية متباينة، إنّه يعتمد على أنماطٍ مختلفة من العلاقات الاجتماعية التي تتضمن التعاون الذي يؤدّي إلى تحقيق الأهداف المرسومة من قِبَل الأفراد والجماعات، إضافةً إلى التنافس الذي يضمّ المقارَنات الاجتماعية المختلفة. تلعبُ الشخصية دوراً مهمّاً في نوعية التنافس، وعندما يشتدّ التنافس فإنّه يتحوّلُ – أحياناً – إلى صراعٍ، ويكون لهذا الصراع مظاهر مختلفة: كصعوبة إظهار النفس، وتقييم المردود، ونوعية المقارنة، والعدالة الاجتماعية.

تعتمد القوى الاجتماعية على عنصرين مهمّين هما المبادئ الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية. ويعتمدُ توازنُ القوى الاجتماعية على عنصرين هما: المبدأ الاجتماعي، ومصدرُ العلاقات الاجتماعية.

يعيشُ الفرد في مجتمع، ويعتمد هذا المجتمع على أسسٍ معيّنة خاصّةٍ به، ويتضمن هذا المجتمع ثقافته الاجتماعية. بما أنّ هناك مجتمعاً له أسسه، كما أنّ هناك ثقافةً اجتماعيةً خاصّةً بها؛ إذن هناك تفاعل اجتماعيٌّ ثقافي (Interaction Cultural – Socio) قائمٌ بين الأفراد أنفسهم وفيما بين الجماعات. تعتمد العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفرد والمجتمعات على التفاعل الاجتماعي.

يتضمّن التفاعلُ الاجتماعيُّ مظهرين، هما:

أ- المظهرُ الإيجابيُّ: إنْ ساد التعاون بين الأفراد، كان المظهرُ الإيجابّي هو السائد في تلك

العلاقات.

ب- المظهر السلبيّ: إنْ ساد التنافسُ الذي يعتمدُ على الإطاحة بالخَصْم، والصراع، كان المظهرّ السلبيّ للتفاعل الاجتماعي هو السائد.

يشيرُ كمبول ينج (Kimble ,1957) إلى أنّ التفاعل الاجتماعي له جانبان، هما: الجانب التعارضيّ، الذي يتضمّن الاندفاع ضد الآخرين لتحقيق هدف معيّن، ويؤدي ذلك إلى الصراع. أما الجانب الثاني فهو التنافس الذي يركّز على تحقيق الثواب لشخصٍ واحدٍ أو جماعة.

يعتبر الإنسان حيواناً اجتماعياً، يقضي أكثر أوقاته في الاحتكاك مع الآخرين ويتفاعل معهم. لقد دَرَسَ لارسون وجماعتُه (Caleagu his and Larson 35-40, 1982) العلاقة القائمة بين الأفراد في مختلف الأعمار، والوقت الذي يقضونه في أوقات اليقظة فيما بينهم. ووجدوا أنّ ثلاثة أرباع الوقت في اليقظة يقضيه الفردُ مع الآخرين، ووجدوا أنّ الشباب يقضون 74% من أوقاتهم مع الآخرين. أمّا الكبار فيقضون 71% من أوقاتهم مع الآخرين. قد يختلف الوقت المنقضي من مجتمعٍ لآخر، وقد يكون الوقتُ المنقضي في مجتمعاتنا أكثر، وهذا الأمر يحتاج إلى بحث. ومن المعلوم أنّ تلك العلاقات تعتمد على التحاور فيما بين الأفراد والجماعات. أمّا إن كان الفرد صامتاً فعندها تكون علاقاته قليلةً جدّاً.

يلعبُ الاتصال الاجتماعي المتبادل بين الجماعات والأفراد دوراً مهمّاً ومؤثّراً في سلوك وتفاعل الأفراد فيما بينهم، كما تتدخّل الاتّجاهات، والرّغبات، والحاجات، والدّوافع في صقل ذلك التفاعل. هناك مَن يعتبر التفاعل الاجتماعي على أنّه عملية اتّصال (Process – Communicative) يَحدُث بين الجنس الحيواني، والمخلوقات الصغيرة الأخرى. يَعتبر (Doby, 1966) الجماعة بأنّها وحدةُ شخصياتٍ متفاعلة فيما بينها.

تحدث العلاقات الاجتماعية المتبادلة عندما يلتقي شخصان ويتكرّر ذلك اللقاء، ويتولد التأثّر والتأثير بين الأفراد، وتتخلل تلك العملية عمليات الإدراك المختلفة كعملية إدراك الفرد لذاته وللآخرين، إضافة إلى إدراكه للمواقف، ويعتمد هذا الإدراكُ على تحليل سلوك الآخرين وسلوك الفرد نفسه في المواقف الاجتماعية المختلفة؛ وذلك لاعتماد التفاعل على المثير والاستجابة الحاصلة بين الأفراد. عندما يتبادل فردان علاقة معينة فإنّ السلوك الذي يصدر عن الفرد الأوّل يكون بمثابة مثير للفرد الثاني، وقد يستجيبُ ذلك الفرد له. وهذه الاستجابة تكون بدورها مثيراً للفرد الأوّل. على سبيل المثال: يبدأ الأوّل بالسلام، ويرد الثاني عليه السلام. قد يسأله عن صحته وأحواله، وقد تبدو من الأوّل بادرةٌ تشير إلى الاحتياج إلى مساعدةٍ فيهبّ الآخر للمساعدة وهكذا تتولّد اللقاءات وتتوثّق الصداقات. وقد يكون الموقف على العكس من ذلك، عندما يُبادر الفرد بالسلام يرد عليه الآخر باقتضابٍ أو لا يرد عليه السلام؛ فتكون الاستجابة في هذه الحالة ضعيفة أو معدومة وبالتالي لا يحدث تفاعل اجتماعي إيجابي، وقد تنقطع العلاقة الاجتماعية. كثيراً ما يحدث هذا النوع من المواقف للصامت؛ ولهذا تكون علاقاته مع الآخرين ضعيفة، ويكون قليل الأصدقاء.

قام كندون (Kendon ,1967, 1-47) بتسجيل حديثٍ دار بين شخصين أثناء اللّقاء، ولاحظ أنّ الابتسامة التي بدأها الشخص الأوّل كانت بمثابة المُثير الأوّل لبداية التفاعل الاجتماعي، ثمّ أتى الكلامُ والتواعدُ واللّقاء والفِراقُ. ولاحظ أنّ تعابير الوجه تدلّ على الانتباه الزائد إضافة إلى نبرات الصّوتِ.

يؤكّد ديوي وهمبر (Humber and Dewey ,1966) أن عمليّةَ التفاعل تتميّز بالنّموِّ والنّضج، ويتم هذا النمو والنضج في إطار مرجعي (Cotext Reference)، ويعتمدُ هذا على العمليات الاجتماعية والنفسية المختلفة التي تؤدّي إلى التكيّف بين الأفراد والجماعات؛ وبالتالي تؤدّي إلى تكوين نوعية الاتجاهات نحو المواقف والأمور المختلفة التي تُواجه الفرد في حياته اليومية.

تُستعمل اللّغة اللفظية أو الجسمية أو الانفعالية في اللّقاءات، عندما يلتقي شخصان أو أكثر مع بعضهم البعض وتحدُث بينهم تلك اللغة عندها يتم التفاعل الاجتماعي، أمّا إن كان الفردُ صامتاً فلا يَحدُث ذلك التفاعل. كما يتضمن المناقشات والمحادثات فيما بينهم، وهناك مَن يعتبِرُ الازدحامَ والتّدافع الذي يحصل بين الأفراد نوعاً من التفاعل الاجتماعي. وممّا جاء سابقاً يُمكِن تعريفُ التفاعل الاجتماعي على أنّه: العلاقة الحاصلة بين طرفين، يؤثّر الواحدُ في الآخر إيجاباً أو سلباً، فإنْ سادَ التوافق والانسجام استمرت تلك العلاقةُ، أمّا إنْ شابها الفتور والتوتّر انقطعت تلك العلاقةُ. هذا ما يَحدُث للصّامتِ في أكثر الأحيان.

مراحلُ تكوين التفاعل الاجتماعي:

إنّ الحركات والإشارات التي تصدُر عن الآخرين، إن انتبهنا إليها قد تؤثّـِر في انفعالاتنا. ذكرنا سابقاً أن هناك من يجعل الآخرين سعداء أو تعساء، أو بعضهم يجعل الآخرين يعملون بجدٍّ، وآخرون يجعلونهم يبتعدون عن العمل. بعضهم يجعل الناس يضحكون، وآخرون يجعلونهم يبكون حَسَبَ ما يسلكون ويؤثّـِرون في انفعالات الآخرين من الناس. يَذكُر (al et Keley, 1982) أنّ كلّ َ حركةٍ أو إشارةٍ تصدر عن الآخرين تؤثّـِر فينا، وكل حركةٍ تصدر عنّا فإنّها تؤثّـِر فيهم، ومن هذا المُنطلق فإنّ الفرد يتأثر ويؤثّـِر في الآخرين الذين يتعامل معهم. فهل الصامت يستطيع أن يؤثّـِر في الآخرين مثل تأثير المُتحدّـِث؟

يَحدُث في بعض الأحيان أن يكون التفاعل الاجتماعي من جانبٍ واحدٍ: كالتفاعل اللا تبادلي الحاصل بين المُشاهد والمُمثّـِل، أو المُستمعِ والمطربِ أحياناً، أو العلاقات المُتبادلة غير المتناسقة: كالتفاعل الذي يَحدُث بين المشتري ومحاسب المخزَن، خاصةً المخازن الكبيرة، قد يتخلّ ُلُ ذلك نوعٌ من الابتسامات أو الانحناء أو كلمات الشّ ُكر العابرة أو عكس ذلك كالامتعاض أو الشكوى من المعاملة. كما يحدُث أحياناً نوعٌ من التوافق بين الأفراد، وعندها يستمرّ ُ ذلك التفاعل الاجتماعي.

يعتمد التفاعل الاجتماعي على أمورٍ مختلفةٍ ومتعدّـِدةٍ وعلى أنماطٍ متباينةٍ من السلوك. تلعب الرموز ذات الدلالة دوراً مهمّاً في ذلك؛ فلغة الجسم لها دورٌ مهمٌّ في اللّـِقاء الأوّ َلِ بين الأفراد. على سبيل المثال: عند لقاء الأفراد في حفل لا يعرفُ أحدُهم الآخر، فالابتسامة وحركة الرّ َاس أو الانحناءة لها مفعولٌ، وتعني تلك الإشارات أنّ ذلك الفرد يرغبُ في التعارف على الأفراد الآخرين، قد يؤدّـِي ذلك بالتالي إلى تكوين العلاقات والصداقات أحياناً. تلعبُ نبراتُ الصّ َوت والانفعالات المزاجيّ َة أيضاً دوراً مهمّاً في إقامة التفاعل الاجتماعي، أي إنّ الفرح والحُزْن والغضب والانفعال لها أهميةٌ كبيرةٌ في ظهور التفاعل الاجتماعيّ ِ. يتخلّ َل تلك العملية تقييمُ الفرد لسلوك الآخرين الذين يتعاملُ معهم، ويشملُ ذلك التقييمَ لأفعالهم ودوافعهم والإشباع الذي يحصل عليه من ذلك. قد يُخفي بعضُ الأفراد ما يضمرون من إحساسٍ ويظهرون خلاف ما يبطنون. على الفرد المقابل أنْ يعرف حقيقةَ الأمر ويدركَ سلوك الآخرين الذين يتعامل معهم، إضافةً إلى سلوكه. يساعد هذا الإدراكُ على تهذيب سلوكِ الفرد ويجعله مناسباً ومتّ َفقاً مع المواقف التي يتعرّ َض لها. أمّا إذا انعدم هذا الإدراك فإنّه يؤدّـِي إلى أنّ السلوك يفقد اتّـِزانه؛ وبالتالي يؤدّـِي إلى توتّ ُر العلاقات أو السّ َأم والملل من تلك العلاقاتِ، وهذا ما يَحدُث على أكثر احتمالٍ لدى الصامت.

لقد ذَكَرَ (Snoek and Levinger, 1972, 2) عدّ َة مراحل للعلاقات الاجتماعية، وتكوين التفاعل الاجتماعي، نلخّ ِصها بالشكل التالي:

1- مرحلة الإدراك (Wareness): (أ) (ب)، والتي تَحدُث بين (أ) ----- -- و(ب) ويكون الاتّ ِصال في هذه الحالة معدوماً.

2- مرحلة الاتّ ِصال (Contact Surface): (أ) --- (ب)، يكون هذا الاتّ ِصال بشكلٍ هامشيٍّ.

3- مرحلة التبادل (Muality(Continuam A: (أ) (ب)، بحيث يتحوّ َل الاتصال السطحيّ ُ إلى اتّ ِصال تبادليٍّ.

4- مرحلة الاعتدالِ (Moderate): (أ) (ب) يحدث التفاعل المعتدلُ بين الطرفين مع وجود الحدود بينهما.

5- مرحلة سموّ ِ العلاقات الاجتماعية: (Intersection Major)، (أ)، (ب) تكون العلاقةُ بين الطرفين على أحسن ما يُرام، وفي أسمى درجات التفاعل الاجتماعي، وتتعمّ َق العلاقة بين (أ) و(ب) ويكون التفاعل الاجتماعيّ ُ في أحسن المستويات.

هناك نوعٌ قائمٌ من التفاعل الاجتماعي الذي يُطلَق عليه "التفاعل الاجتماعي الفعّال" (Close RelationshiP)، ويتميز هذا في رُذكَيه .لوجه ٍوجها يكون هّ أنه القائم الاجتماعي التفاعل هذا زَّ الخصوص (al et Kele, 1983) و(Bersecheid, Omoto and Snyder, 1989, 63-91).

أنّ ذلك النوع من التفاعل الاجتماعي يَحدُث بين أفراد العائلة الواحدة، وبين الأصدقاء

المقرّبين، وبين المُدرّسين المُفضّلين من قِبَل الطلاب، أو صاحب العمل. يذكُر آدمز (1986 Adams) أن "التفاعل الاجتماعي يتم بُّيّ رابطة الصداقة والصلة، وقد سّماها "الشبكة الاجتماعية".►

المصدر: كتاب لماذا يَصْمُتُ الرّجُل؟! (الأسباب السيكولوجية لانعدام الحوار وقلّة الاهتمام بين الأزواج)